العزم والعمل

« وقال أقوم وأذهب الى أبي وأقول له يا أبي أخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد أن أدعي لك ابنا . اجعلني كأحد أجراك . فقام وجاء الى أبيه »

(لو ١٥: ١٨،١٩)

للخطيب القدير: لن برتون

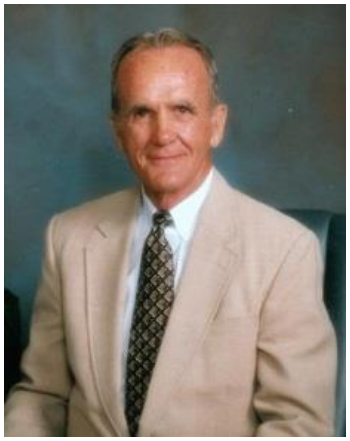

June 18, 1964 - February 2020 (age 56)

أن تغييرا محسوسا قد طرأ على شابنا هذا ، لأنه رجع الى نفسه وبدأ يفكر في الأمر جيدا . وهذه حقيقة تملأ قلوبنا عزاء كلما نجد شابا منشغلا بالتفكير في أمره . أتعلمون قصة ذلك الشاب الذي وجد من الفرص المواتية في بواكير حياته ما كان يبوئه أعلى مكانة ، ولكن دفع ثمنا باهظا منذ وقت قريب لجريمة فظيعة وكان جزاؤه حبل المشنقة ؟ اسمع اعترافه الأخير فهو عظة قوية : قال : « ايها الشبان ، لقد وقعت اسيرا لعادة شرب الخمر في بدء حياتي . ولطالما نصحنى الأصدقاء والأحباء أن أقلع عنها ، ولكن رأسي كانت قاسية فلم أرعو لنصحهم . وخطوة فخطوة صرت ادخل في أعماق الخطية الى أن صارت حياتي الى اليأس أقرب منها الى الرجاء ، فكانت النهاية اني لم أخف الله ولم اهب انسانا . وهذه الجريمة التي أشنق جزاء و فاقا عليها هي من ذات صنع يدي واأسفاه فاني غير مستعد للموت ! بل اني أجابه الموت الآن وأكسر قلب أم طيبة . لا ترموها بدم أو تنسبوا اليها تقصيرا فلقد عملت بي كل ما في جهدها من صلاح فلم أستمع . « مسكين ذلك الشاب ! فحاجته الماسة كانت أن يقف قليلا ويتريث ، ولكنه لم يفعل فحصد مازرع من غلوائه في العصيان كم من خطأ يمكننا اجتنابه لو فكرنا قليلا .. أجل ، أن الابن الضال لم يقف عند حد التفكير . ولو درينا لعلمنا أن السر في فشلنا هو اننا لم نصحب العزم بالعمل . واذا جمعنا المناسبات التي عزم فيها كل واحد من الحاضرين هنا ليعمل عملا لملأت كتاب ضخما في حجم تاريخ العالم بالصور».
قال لوثر بنصون أنه عزم ثلاثين مرة في شهر واحد أمام شهود أن يبطل شرب الخمر ، ولكنه فيها كلها باء بالفشل . لكن الابن الضال لم يقف عند عزمه بل قام وذهب إلى أبيه . لقد وضع عزمه الصادق في قالب العمل السريع . وهذه هي الفكرة التي أريد أن أثبتها في افكارهم ونحن ندرس ونحلل الأسس التي

يقوم عليها النجاح . اذ في كل مناحي الحياة لا يقوم النجاح على مجرد العزم بل على العمل ، فكما نشرع حسناً ينبغي أن ننفذ حسناً.

اولا : في المصالح الدنيوية

لما سئل الاسكندر الأكبر عن سر نجاحه في حياته العسكرية قال : « في عدم تأجيل ما أقرر » . وقال قيصر لرجاله : خير أن يموت الإنسان من الا ينجز عملا شرع فيه . « وكتب أحد كبار الكتاب الفرنسيين: « لا يعتبر من الطراز الأول في التفكير الا من كان من الطراز الأول في التنفيذ ». والرسول يقول: »ايمان بدون اعمال ميت ». وما معنى هذا ؟ معناه أنه مهما كانت افكارنا نبيلة وعالية تحسب بلا قيمة اذا لم تجد لها صورة واضحة في تصرفات حياتنا . وهاكم بعض حوادث التاريخ عن العظماء : سليمان دايكوز النورماندي اكتشف قوة البخار في تحريك الاناء . امتلأ عقله بهذا المشروع حتى عد مجنونا ومات في السجن فجاء واطس وطبق نظرية ديكوز فحصد المجد. ومنذ خمسين سنة تقريبا قام طبيب اسمه دريبر و قرر أن في استطاعت معالجة القلب داء الاستسقاء، ولكن ظل هذا الأمر موقوفا حتى جاء جراح غيره أقل تفوقا منه من عدة وجوه و نفذ نظريته وحصد الجزاء. فالنظري لا يمكن أن يصيب النجاح المرجو .

حُكِى عن السير توماس مور المتضلع في علم النفس أن صديقه آراز موس زاره مرة . وكان السير توماس يناقش ارازموس في موضوع « أن ما يعتقد الانسان هكذا يكون له ما يعتقد). وبعد ذلك قام اراز موس لينصرف ، وفيما هو خارج دخل الى اسطبل السير توماس فوجد حصانه الذي تعود أن يركبه فوضع السرج عليه وترك عصاه مكان حصان السير توماس ومعها ورقة كتب فيها بيتين من الشعر ترجمتهما : تذكر يا مولاي انك قلت لي في مناقشتك : اعتقد في امر فيكون. قلت لي ذلك فأقول بدوري: اعتقد انك ترى جسما فذلك الجسم ترى. فاذا مللت السير على قدميك في هذا اليوم القائظ فاعتقد ان هذه العصا هي حصانك و حالا امتط صهوتها . فلما ذهب السير توماس الى اسطبله ووجد هذه الكلمة ، وقف هنيهة بتأمل وقال : كل نظرية تكون صحيحة على شرط ولم يكمل الباقي . فالعمل هو الذي يأتي بالنجاح . كثير من رجال الأعمال أخفقوا لأنه لم تكن لهم قوة اخراج التفكير الى حيز العمل.

ثانيا : في بناء الأخلاق:

أن أهم موضوع يسترعي هم الشباب هو بناء الأخلاق حتى لقد قيل أن من بني الأهرام يعد عظيما ، ولكن أعظم منه من بنى صرح الأخلاق . شيء عظيم أن ترسم صورا جميلة وتنحت تماثيل رائعة ، ولكن صور مايكل انجلو في هيكل سيستين لا تقاس بالصور الجميلة المعلقة في هيكل القلب ، لأن كل شيء متوقف على أخلاقك . فحذار من أن تخيب جهودك في هذا الصدد ، اذ أن كل مقاصدك ونواياك لا يقام لها وزن اذا لم تصحبها بالعمل . هناك كلمة يلوكها الكثيرون : أنه لا كبير فرق فيما تعمل اذا كانت نواياك حسنة وعقيدتك سليمة . وهذا القول هو عين الخطأ لأني أعترض قائلا : أتفكرون تفكير القديسين وتعملون أعمال الشياطين ؟ لقد كانت عقيدة بيلاطس عن يسوع حسنة اذ يقول أنا لم أجد علة في هذا الإنسان ، ولكنه يقف محكوما عليه لأنه لم يستخدم الحكمة ولا الرجولة ليعمل وفق عقيدته فالأفكار الصالحة والسلوك الحسن يجب أن يمشي جنبا لجنب مع الأخلاق الصالحة . فيا أيها الشاب أناشدك أن تقلع

عن عاداتك الأثيمة . كم مرة تندد بحالك قائلا : أن العار يغطي وجهي من جراء أعمالى ! يجب أن أكف ! ولكنك سائر في طريقك الأعوج غير مكترث.

سمعت قصة عن ولد من سكان الولايات المتحدة الغربية راهن رفقاءه في يوم أن يوقف قطار البضاعة بطريقة فذة . ثم وقف في وسط شريط السكة الحديدية واخرج منديله من جيبه ، ولما ظهر القطار من على بعد أخذ يلوح وينادى قف ! فلما رآه السائق هدا القطار الى أن وقف . وما كان من الولد الا أن ركض مهرولا الى المزارع المجاورة دون أن يتكلم والأولاد يتفرجون اليوم التالي وكسب الرهان من أصدقائه مكررا ما عمل في اليوم السابق . وفي اليوم الثالث أقبل عليهم رجل عجوز ونصحهم بالاقلاع عن هذه اللعبة الخطرة فقال الولد سنتركها ، ولكنه استمر كسابق عهده، ولا مل السواق لعبة هذا الولد الأحمق فبدلا من أن يوقف القطار هذه المرة زاد سرعته فطوح بالولد مسافة عشرين قدما . ولما اجتمع الناس حوله وهو يحتضر كان يقول بصوت خافت حزين « سأكف بعد هذه المرة ». وحالة هذا الولد تنطبق على كثيرين.

منذ وقت اكتشفت قضية اختلاس من أحد المصارف ولفظت الجرائد باسم عائلة محترمة . يقول الرجل الذي أساء الى هذه العائلة أنه كان يعلم بخطئه واعترف انه ظل عشر سنوات يحاول أن يسدد المبلغ قبل اكتشافه ، ولكنه كان في كل مرة يسوف الى أن افتضح أمره. فأناشدكم أيها الشبان أن تبنوا بناء سريعا فيما يختص بأبدية حياتكم التي يجب أن تستأثر بكل عنايتكم . ابدأوا الآن لأنكم كلما أطلتم التسويف صعب عليكم الرجوع.

منذ بضع سنين ضل رجل في منطقة مناجم ، وفيما هو تائه أرخى الليل سدوله وأطبقت عليه ظلمة ليل بهيم ، فهام على وجهه لا يدري إلى أين يذهب . ولم يعلم أين يضع رجله فقد تمثل له أن الخطوة التالية كأنها على حافة هاوية مريعة يهوى فيها فيتردى جثة مشوهة . عرف الخطر المحدق به فوقف في مكانه لا يتحرك وأطلق صوته صارخا : تائه . تائه . تائه ! سمع الصوت أحد سكان الأكواخ المجاورة فأخذ فانوسا بيده وأسرع ليجيب هذه الصرخة راى الرجل النور الضئيل يتألق من على بعد وابتدا يقرب منه شيئا فشيئا حتى كشف له البقعة التي كان واقفا عليها فاذا هي حافة الموت بعينه ، ولو كان قد اخطا خطوة أخرى لانحدر من حالق قمة تجعله أشلاء متناثرة . خطوة واحدة ! تأمل معي ، خطوة واحدة هي الحائل بينه وبين الموت والابدية.

ثالثا : في الدين:

أن العمل الذي يتوج حياة الانسان في رواية الحياة لهو الرجوع الى الله والابتعاد عن الخطية والعصيان . وكل بناء من الأخلاق مهما كان حسنا تبنيه على اساس آخر سينهار في النهاية اذ أن يسوع وحده هو الصخر التي يثبت عليه البناء ، وهو وحده القادر أن يدافع عن الحياة المتوكلة عليه لأنه لا يتخلى عنا حتى أن وقف العالم كله ضدنا . كم أحب ذلك التأكيد الوارد في اشعياء (٤١: ١٠) « لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني الهك قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى ».

نعم ، ليس هناك أي أثر للخوف بداخلنا أو الفزع ينازعنا ما دام يسوع هو قوتنا . وقد يعزى جبن الكثيرين وخوفهم من أداء الشهادة واضحة ليسوع في أيامنا هذه الى عدم اعتمادهم على المسيح .

أيها الشاب هل تجد صعوبة في الابتعاد عن الخطية ؟ وهل تقف العادات الذميمة أمامك كأشباح في الظلام لترعبك ؟ وهل ينازعك الخوف حينما تشرع في عمل جديد ؟ هيا ضع آمالك في يسوع لأنه ليس قادرا أن

يحفظك وحسب ، بل يريد أن يعطيك قوة . اسمع شهادة مجاهد كبير هو الرسول بولس : « أني متيقن أنه لا موت ولاحياة ، ولا ملائكة ، ولا رؤساء ، ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » . أتريد شهادة أبلغ من هذه ؟ انهض أذن . تعال الى بيت الآب طارحا خطاياك تحت قدميه .

من العواصف وأمواج المصائب التي هبت
لنا الملجأ بات تحت عرش النعمة
مكان عرش النعمة المبتاع بالدم الثمين
احلى مكان مطلقا عند جميع المؤمنين
هل نستطيع الفوز بالعون وباب للهرب
حين نجرب ونترك فرائس الرعب
أم للجحيم بانتصارها علينا يحكم
ولا يكون عرش النعمة لمن تألموا
نغدو على أجنحة النسور اذ للشهوة
وللإثم لا يبقى على ضررنا من سلطة

فأن اتخذت المسيح أساسا لك فانه لا يهبك قوة للخدمة وحسب بل يجعلك ايضا سبب بركة للآخرين ، وهنا يروق لي أن أقص عليكم قصة نشرت من وقت قريب عن سيدة شابة ، وهي تعطينا مغزى نافعا عن الحياة ورسالتها وأهمية العمل الصالح حتى في الأشياء البسيطة . قالت « اليس » لصديقتها « راعوث » أذ وقفت عند بابها :« عندى تذاكر للحفلة التي تقام مساء الأربعاء، فهل ترافقينني يا راعوث؟» فأجابت : « ولكن هذه ليلة اجتماع الصلاة »، فردت عليها :« انا أعلم ذلك ، ولكن الفرقة الموسيقية ستبحر إلى أوروبا يوم الجمعة وهذه فرصة لن تتاح لنا »، فأجابت راعوث : « ولكني لم اتخلف قط عن اجتماع الصلاة مهما كانت الأسباب ». فقالت صديقتها :« وهذه حفلة دينية وليس لنا أمل أن نشهد مثلها ، وهناك يمكننا أن نصلي أيضا .فترددت راعوث برهة ، وأخيرا وعدت صديقتها أن تذهب معها.

في تلك الليلة رأت حلما أن ملاكا بثياب براقة وقف بجوارها وسألها برفق : اين ستذهبين غدا ؟ فأجابت : إلى الحفلة الموسيقية . فقال : الهذا الحد تقللين قيمة نفس واحدة ؟ فلما استيقظت راعوث ظلت الرؤيا تلازمها وتتردد كلمة الملاك في اذنيها : الهذا الحد تقللين قيمة نفس واحدة ؟ فصممت على أن تسحب كلمة الوعد لصديقتها وتعدل عن حضور الحفلة . ذهبت الى اجتماع الصلاة تلك الليلة و كان قلبها مغمورا بفرح جديد اثناء ترتيل هذا العدد:

يا رحيما عادلا وحنونا غافرا

طهرني داخلا واحفظني طاهراً

أنت ينبوع الحياة انني ممن ورد

فض بقلبي في حشاه فض على طول الأبد

انتهت الترنيمة ، وسكتت الموسيقى ، ثم وقفت راعوث في وسط الجمع وقالت : كنت عازمة أن أحضر الحفلة الموسيقية المقامة في هذه الليلة ولكنني صممت على الا أتغيب عن اجتماع الصلاة . وأنا هنا أشعر بفرح أوفر مما لو كنت حضرت تلك الحفلة لأني أعتقد أنه لا توجد موسيقى أحلى من الترنيمة التي رنمناها الآن ». وعند ختام الإجتماع وقف الراعي ودعا من يريدون أن يسلموا ذواتهم للمسيح بأن يتقدموا الى الأمام . وبينما هو واقف اذا بسيدة في ثياب الحداد تتقدم ببطء إلى قرب المنبر وهناك ركعت طالبة معرفة طريق الخلاص ولما انتهت الخدمة جاء واحد الى راعوث وعرفها أن السيدة التي تقدمت الى الأمام تريد مقابلتها . فذهبت اليها والعجب آخذ منها كل مأخذ . عرفتها أن اسمها « مسز والترز »، ثم قالت لها : اريد أن أعرفك اني مدينة للشهادة التي شهدتها الليلة لمعرفتى طريق الرب . كما اخبرك ايضا اني لم أحضر كنيسة خلال العشر السنوات المنصرمة . ولكنني جئت هنا الليلة إرضاء لزميلة لي، فلما سمعتك تقولين انك تفضلين اجتماع الصلاة على الحفلة الموسيقية ، وأنه لا توجد موسيقى اعذب عندك من الترنيمة التي مطلعها «من يسوع المعتمد » كنت أناجي نفسي قائلة أنه لابد أن تكون هناك حقيقة في الدين فلابد لي من التمسك بأهدابه والاقلاع عن حياة الاهمال . ولذلك تجدينني عاجزة عن ايفائك حق الشكر لأنه بواسطة شهادتك الليلة سأعود الى منزلى فرحة بمعرفة طريق الرب يسوع.

مدت راعوث يدها الى صديقتها الجديدة بتحية حارة ، وعلمت ساعتئذ معنى رسالة الملاك. وبالطبع لم تقص عليها قصة دعوة « اليس » لها ، ولا عن الحلم الذي رأته وجعلها تعدل وتحضر اجتماع الصلاة ، ولكنها اكتفت بأن شكرت السيدة لحديثها معها وعرفتها أنها لن تنسي ذلك مدى حياتها . فقد كان منزل راعوث قريبا من شريط السكة الحديد . وفي منتصف الليل استيقظت على صوت اصطدام رائع فأطلت النافذة وتبينت أن القطار السريع الذي يمر في منتصف الليل اصطدم بقطار بضاعة . كانت أصوات الاستغاثة وصرخات الجرحى تقع على الآذان في تلك الليلة الليلاء فتبعث الرعب في النفس . لكن راعوث طرحت رداء النوم ولم تعد تفكر في راحتها ، وأسرعت الى والدها ، وسرعان ما نزلا إلى مكان الحادث علهما يقدمان خدمة في أعمال الإغاثة . فكان أول وجه تعرفت اليه حالما وصلت بجوار القطار المحترق هو وجه « مسز والترز ». كان مصفرا ، لكن لم تفارقه علائم الهدوء والطمأنينة في الوقت الذي كان يبين مبلغ الضرر الذي لحق بها . فأسعفوها واخذوها إلى منزل راعوث. كانت ساعتئذ لا تقوى على النطق لأن قوة التكلم فارقتها . وحينما وضعوها على سرير راعوث لمت شعثها قليلا ، ثم وضعت يدها على شفتيها وهمست بكلمات خافتة :« يا بنتي أنا ذاهبة - لقد كانت آخر فرصة لي – ماذا يكون لو لم تكلمينى - ماذا يكون لو لم أحصل على الخلاص ! ». وهناك بجوار تلك الجثة ركعت والدموع السخينة تمطر وجهها ، وعندئذ قطعت عهدا أمام الآب السماوي أن تكون أمينة لواجبها وأن تقدم شهادتها دائما وأن تقدر قيمة نفس واحدة.

أيها الشاب ، هذا هو أعلى واجب كما أنه أرفع امتياز . إنى أشدد عليك كى تعير الأمر نظرة الجد والأمانة . كل واحد يطلب النجاح .والتاريخ الروماني يقص قصة ضابط خدم الدولة أربعين سنة وحارب في مائة وعشرين موقعة ، حروبا ظافرة، وحاز أربعة عشر اكليلا ، ولكن عند موته طلب أن تحرق هذه الأكاليل قائلا : « لقد صرفت عمري في قضية خاسرة ».

هل تحدثك نفسك في الأعماق أنه يجب عليك أن ترجع الى وطن الأب ؟ لا تجلس مفكرا طويلا أن الأمر يتطلب أن تقوم سريعا وتذهب عاجلا ميمما وجهك نحو بيت الأب.

من كتاب أشهر المواعظ للواعظ الشهير لن برتون مع التعديل والتنسيق

الرب يستخدمها لمجد اسمه